منصة التعليم التونسي · السنة الثانية ثانوي

مقال أدبي: محور الشعر الجاهلي

محور الشعر الجاهلي · اللغة العربية

محتويات الدرس

التمهيد

شرح الدرس

المفردات والمصطلحات

منهجية الإجابة

تمهيد

هذا الدرس متوافق مع المنهج الدراسي التونسي، ويقدم مسارًا واضحًا لفهم النص وتحليله ومراجعة عناصره الأساسية.

مقال أدبي: محور الشعر الجاهلي

تمهيد: تتعدد موضوعات القصيدة الجاهلية، وقد ينتقل الشاعر فيها من ذكر الديار والحبيبة إلى وصف الرحلة والراحلة، ثم إلى الفخر أو المدح أو غيرهما من الأغراض. وقد يوحي هذا التنوع بأن القصيدة أجزاء متجاورة لا رابط بينها. غير أن النظر المتأني يكشف أن ما يبدو تشتتًا في الظاهر تحكمه حركة داخلية، وأن القصيدة تجمع بين تجربة الشاعر الخاصة وصورة الجماعة التي ينتمي إليها.

موضوع الدرس: يبحث هذا المقال في الرأي القائل إن الفوضى والتفكك الظاهرين في بناء القصيدة الجاهلية يخفيان نظامًا وتماسكًا، وإن مضمونها يصور هواجس الأنا وقيم المجموعة. والمطلوب تحليل هذا الرأي وتدعيمه بشواهد مناسبة، لا نقضه أو الاكتفاء بتلخيصه.

تقسيم المقال: يمكن بناء التحليل في مرحلتين مترابطتين: أولاهما بيان مظاهر التفكك الظاهر ثم الكشف عن النظام الذي يصل بين أقسام القصيدة، وثانيتهما توضيح ما تحمله من مشاغل الشاعر وقيم المجتمع. ويُستحسن أن تتدرج الفقرات بين المرحلتين مع وصل كل فكرة بما يليها.

أولًا: من التفكك الظاهر إلى الوحدة الخفية

يظهر تنوع القصيدة في تعدد أغراضها ومقاطعها. فقد تفتتح بوقفة عند الديار، ثم يرد النسيب، أي ذكر الحبيبة والتغني بها، ويأتي وصف الرحلة والراحلة، قبل أن يبلغ الشاعر غرضه الأساسي، كالفخر أو المدح. وقد تتخلل هذه الأقسام أبيات في الحكمة أو التأمل أو الخمرة. كما لا يكون الانتقال من موضوع إلى آخر مصحوبًا دائمًا بتمهيد واضح؛ لذلك قد يتوهم القارئ أنه أمام مقاطع مستقلة، لا يجمعها سوى الوزن والقافية.

لكن هذا الحكم يصف المظهر ولا يفسر حقيقة البناء. فالقصيدة تسير غالبًا وفق تدرج معروف: من الطلل والنسيب إلى الرحلة، ثم إلى الغرض الرئيس. ولا ينبغي أن نعد هذا التتابع قالبًا آليًا جامدًا؛ إذ إن اختلاف القصائد ومداخلها الجزئية يدل على أن الشاعر يختار من هذا البناء ما يلائم تجربته. ومن هنا نفهم أن تماسكها لا يقوم بالضرورة على وحدة الموضوع، بل قد ينبع من تتابع التجربة النفسية وتطورها.

تبدأ الحركة بالطلل، وهو أثر الديار بعد خلوها من أهلها. والوقوف عليه يضع الشاعر أمام المكان الذي تغير، ويوقظ ذاكرته بما ارتبط به من أحداث ووجدان. لذلك يخاطب امرؤ القيس صاحبيه داعيًا إلى البكاء عند موضع الحبيبة، ويصور طرفة بن العبد أصحابه واقفين معه على الديار، بينما يجعل النابغة الذبياني الدار كأنها ذات أخبار، وإن أعجمت عن الكلام. وتبين هذه الأمثلة أن الطلل ليس وصفًا لمكان فحسب، بل مدخل إلى ما يختلج في نفس الشاعر.

ويتصل النسيب بهذه الوقفة لأن ذكر الحبيبة يستعيد لحظات الحياة والألفة في مواجهة أثر الفقد. فالطلل يوحي بالرحيل والزوال، أما صورة المرأة فتستحضر ذكرى اللقاء وما فيها من بهجة. بهذا

الانتقال يقابل الشاعر بين الخواء والامتلاء، وبين ما انقضى وما يظل حاضرًا في الذاكرة. ويمكن للتلميذ أن يفسر العلاقة بين المقطعين بدل الاكتفاء بتسميتهما: فالنسيب امتداد وجداني للوقفة، واستجابة لما أثاره المكان في النفس.

ثم تتجه القصيدة إلى الرحلة وما يصحبها من وصف للراحلة والصحراء. وهذا المسار ينقل الشاعر من تأمل الفقد إلى فعل الحركة والمغامرة؛ فالرحلة مواجهة لوحشة الصحراء ومشاقها، والراحلة رفيق في هذا الطريق، لا مجرد وسيلة انتقال. وعندما يصل الشاعر إلى غرضه الرئيس، يكون قد انتقل من الانكسار الذي أثاره الطلل إلى التحدي والفعل. هكذا يغدو التدرج بين الأقسام تعبيرًا عن تحول نفسي، ويظهر الرابط الذي كان خفيًا خلف اختلاف الموضوعات.

يتضح إذن أن الطلل والنسيب والرحلة والغرض الرئيس عناصر متفاعلة، لا قطع منفصلة بالضرورة. فالتنقل بينها يعكس انتقالًا من استحضار الماضي إلى استعادة النشاط ومواجهة الواقع. وهذا لا يلغي وجود تفاوت في الانتقال أو تنوع في الموضوع، لكنه يدعونا إلى التمييز بين التشتت الذي قد يوحي به الشكل وبين الوحدة التي تنشأ من ترتيب التجربة ودوافعها.

ثانيًا: القصيدة بين هواجس الشاعر وقيم الجماعة

للقصيدة الجاهلية بعد ذاتي يكشف عالم الشاعر الداخلي. فالطلل يبرز علاقته بالمكان وبما ترك فيه من ذكريات، كما يفتح على إحساسه بالفقد وبقصر الحياة. واستحضار الحبيبة يبين تعلقه بلحظات الصفاء، بينما تكشف الرحلة عن رغبته في تجاوز الضعف ومقاومة قسوة المحيط. لذلك يمكن النظر إلى مطلع القصيدة بوصفه منفذًا إلى جغرافية الشاعر الروحية، لا مجرد مقدمة شكلية.

ويظهر هذا البعد أيضًا في ميل الشاعر إلى قوة التصوير والمبالغة في التعبير. فالمبالغة تمنح صورته قوة، وتتيح له أن يواجه إحساسه بهشاشة الإنسان أمام الموت والفناء وشدة الصحراء. وينبغي عند تحليل صورة شعرية ألا نصفها فقط بأنها جميلة أو قوية؛ بل نربطها بما تكشفه من خوف أو تحدٍّ أو تعلق، وبالمقام الذي وردت فيه.

ولا تنحصر القصيدة في ذات منشئها؛ فهي كذلك صورة لقيم الجماعة وأحوالها. فقد حفظ الشعر أخبار الناس وعاداتهم ومآثرهم وحروبهم وانتصاراتهم وهزائمهم، وعبّر عن مثل أخلاقية مثل الشجاعة والفروسية والكرم وإغاثة المحتاج والحلم. ويظهر أثر هذه القيم في اختلاف الأغراض: فقد يمدح الشاعر غيره أو يرثيه، وقد يفاخر بنفسه، أو يهجو خصمه. وتتصل هذه الأغراض بمعايير الجماعة لأنها تبرز ما تحمده أو تذمه.

وتنتظم هذه الخصال في صورتين بارزتين: فتوة السلم، بما يرتبط بها من كرم وإغاثة وإجارة، وفتوة الحرب، بما تحمله من إباء وشجاعة وبطولة وفروسية. ويستشهد في الأولى بمدح زهير بن أبي سلمى لهرم بن سنان وبيان جوده، وفي الثانية برثاء الخنساء أخاها صخر وإبراز شجاعته، أو بفخر

عنترة بفروسيته في مواجهة القوم. وظيفة الشاهد هنا أن يدعم فكرة محددة؛ فلا يكفي إيراده من غير شرح الصفة التي يبرزها وصلتها بقيم الجماعة.

مفردات ومصطلحات

- **الطلل:** بقايا الديار بعد رحيل أهلها، ويستدعي ذكرى المكان ومن عاش فيه.
- **النسيب أو التشبيب:** الحديث عن الحبيبة وما يتصل بها من مشاعر وذكريات.
- **التخلص:** الانتقال من مقطع أو غرض إلى آخر في القصيدة.
- **هواجس الأنا:** ما يعتمل في نفس الشاعر من مشاعر ومخاوف ورغبات.
- **قيم المجموعة:** الخصال والمعايير التي يشترك المجتمع في تقديرها، مثل الكرم والشجاعة.
- **البعد الذاتي والبعد الموضوعي:** الأول متصل بتجربة الشاعر الخاصة، والثاني متصل بأحوال الجماعة وقيمها، مع إمكان تداخل البعدين.

خصائص فنية ومنهجية التحليل

من خصائص القصيدة التي يعالجها الموضوع تعدد الأغراض، والتتابع الغالب بين الطلل والنسيب والرحلة والغرض الرئيس، مع إمكان تفاوت الانتقال بينها. كما تتداخل فيها الصورة الوجدانية مع وصف المكان والرحلة، وتُسخّر الأغراض الشعرية للتعبير عن قيم اجتماعية. وعند تحليلها، ينبغي وصل الشكل بالمضمون: نسأل كيف يخدم ترتيب المقاطع حركة التجربة، وماذا يكشف كل مقطع عن الشاعر أو عن الجماعة.

1. حلل ألفاظ الموضوع، وميز بين المظهر الخارجي للقصيدة ونظامها الداخلي، وبين البعد الذاتي والبعد الجماعي.
2. صغ إشكالية دقيقة، مثل: كيف ينتظم تعدد أقسام القصيدة؟ وكيف تعبر عن مشاغل الشاعر وقيم مجتمعه؟
3. ابدأ بذكر مظاهر التنوع والانتقال، بإيجاز، ثم انتقل إلى تفسير الروابط النفسية التي تجمع المقاطع.
4. خصص فقرات لهواجس الشاعر، ثم لقيم الجماعة، مع اعتماد شواهد ملائمة وشرح دلالتها.
5. اختم بتركيب يبرز تفاعل البناء والمضمون، ولا تجعل المقال سردًا لأسماء الأغراض أو للأبيات.

تركيب

تبدو القصيدة الجاهلية متعددة المقاطع، لكن هذا التعدد لا يكفي للحكم عليها بالتفكك؛ إذ يربط بين أقسامها تدرج يواكب انتقال الشاعر من استحضار الديار والحبيبة إلى الرحلة ومواجهة الصحراء، ثم إلى غرضه الرئيس. وهي في الوقت نفسه مرآة للذات بما تحمله من ذكرى وفقد وتحدٍّ، وصورة

للمجموعة بما تسجله من أخلاق وعادات ومآثر. لذلك يتطلب فهمها الجمع بين تحليل بنائها ودلالاتها، ومراعاة الصلة بين الشاعر والبيئة التي عاش فيها.

المفردات والمصطلحات

الطلل	أثر الديار بعد رحيل أهلها، ويحمل دلالات الذاكرة والزوال.
الشاهد	لفظ أو تركيب أو بيت يُستند إليه لإثبات فكرة.
التأليف	خلاصة تجمع نتائج التحليل وتقيّم قيمته الفنية والدلالية.

منهجية الإجابة

1. اقرأ العنوان وحدد المحور ونوع النص قبل الشروع في التحليل.
2. قسّم النص حسب التحول في المعاني أو مواقف الشخصيات أو مراحل التجربة.
3. استدل بشاهد دقيق ثم فسّر أثره في المعنى أو الأسلوب، ولا تكتف بالتسمية.
4. اختم بتركيب يربط بين المضمون والبناء ويبرز القيمة الفنية أو الإنسانية.

خلاصة المراجعة: افهم الفكرة، حدّد الشاهد، فسّر دلالته، ثم اربط النتيجة بمحور الدرس.